جان دارك

سلسلة ليديبرد
"في المغامرات التاريخية"




راميان بالقوس والنُّشّاب
خوذةُ صلاح الدين
رامٍ بالقوسِ الطويلِ والنُّشّاب
راجمٌ، رامي المنجنيق
رمّاحٌ


خوذةٌ فولاذيةٌ خفيفةٌ
فارسٌ
درعُ جان دارك
مدفعٌ يدويٌّ
جان دارك بلباسِ الفرسان

كانَتْ **جان دارْكْ** فتاةً قرويّةً مُتديّنةً جداً . ولَها إدْراكُ فتاةٍ قضتْ طُفولتَها في مَزْرعةٍ . اعتقدَ الإنْكليزُ بأنّها كانتْ ساحِرةً فخافُوا مِنْها . واعتقدَ الفرَنْسيّونَ بأنّها كانَتْ قِدّيسةً فاتّبعُوها . وغارَ مِنْها رجالُ البَلاطِ المَلكيّ والأساقِفةُ فخانُوها . فمَنْ يُقرّر أيّهم كانَ على حقّ ؟ كلُّ ما نعْرِفُهُ أنّها أنْقذَتْ فرنْسا .

طُبِعَ في انكلترا © الطبعة الأولى ١٩٧٤

جان دارك

بقلم : ل. دو غارد پيتش

نقله الى العربيّة : محمد العدناني

وضع الرسوم : جون كيني



الناشرون :

مكتبة لبنان | ليديبرد بوك ليمتد | لونغمان

بيروت | لافبورو | هارلو



جان دارك

يُمْكِنُكَ أَنْ تَقْرَأَ في كِتابٍ آخَرَ مِنْ هذِهِ السِّلْسِلَةِ قِصَّةَ المَلِكِ هنري الخامِسِ ، وانْتِصارِ الإنكليزِ عَلَى الفَرَنسيِّينَ عامَ ١٤١٥ في مَعْرَكَةِ أَجينكُورَ. فهذِهِ المَعْرَكَةُ الَّتي انْتَصَرَ فيها هَنْري ، مَعَ الآنتِصاراتِ الأُخْرَى ، جَعَلَتْ إنكلترا مُسَيْطِرَةً عَلَى قِسْمٍ كَبيرٍ مِنْ فَرَنْسا . وهنري نَفْسُهُ تَزَوَّجَ ابنَةَ المَلِكِ الفَرَنْسِيِّ ، الَّتي عُيِّنَتْ وارِثَةً لِعَرْشِ فَرَنْسا .

ولكِنَّ هَنْري ماتَ وَهُوَ في الخامِسَةِ والثَّلاثينَ مِنْ عُمْرِهِ ، ولَمْ يَكُنِ ٱبْنُهُ مَجْبُولًا عَلَى حُبِّ الحَرْبِ كَأَبيهِ . ومَعَ أَنَّ الإنكليزَ استطاعوا الآحتِفاظَ بِشَمالِ فَرَنْسا مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ ، فإنَّهُمْ خَسِرُوا خِلالَ ثَلاثينَ عامًا كُلَّ شَيْءٍ رَبِحَهُ هنري الخامِسُ تَقْريبًا .

وكانَ السَّبَبَ في هذا بِنْتٌ فَلّاحَةٌ مِنْ قَرْيَةِ دُومْرِمي الصَّغيرةِ في اللّورِيْن . كانَ ٱسْمُها **جان** ، وقَدْ خَلَّدَها التّاريخُ بِٱسْمِ **جان دارك** .

مِنَ الصَّعْبِ جِدًّا عَلَيْنا أَنْ نَتَصَوَّرَ الحالَةَ الَّتي كانَتْ عَلَيْها فَرَنْسا تِلْكَ الأَيّامَ . لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ في أَمانٍ . وكانَ الجُنُودُ مِنْ كِلا الجانِبَيْنِ ، ورُبَّما كانُوا جُنودًا لا يَنْتَمُونَ إلى أَحَدِهِما ، يَتَجَوَّلُونَ في الرِّيفِ المُقْفِرِ ، ويُحْرِقُونَ المَزارِعَ والقُرَى ، ومِنْها قَرْيَةُ دُومْرمي ، الَّتي كانَتْ جانُ تَعيشُ فيها . حَتَّى المَواشِي تَعَلَّمَتْ مَعْنَى صَوْتِ جَرَسِ الإنْذارِ ، فصارَتْ تَرْكُضُ إلى مَأْواها مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِها عِنْدَ قَرْعِهِ .



عِنْدَما كانَتْ جانُ بِنْتًا صَغيرَةً لَمْ تَكُنْ تَخْتَلِفُ عَنْ بَقِيَّةِ البَناتِ . لَعِبَتِ الأَلعابَ الَّتي يَلْعَبُها جَميعُ الأَوْلادِ ، وتَجوَّلَتْ في الأَحْراجِ الجَميلَةِ ، الَّتي لا تَزالُ حَتَّى اليَوْمِ مُحيطَةً بِقَرْيَةِ دُومْرِمي . وكانَتْ تَعْمَلُ في مَزْرَعَةِ أَبيها ، فَتَرْعَى الماشِيَةَ ، وتَعَلَّمَتْ في أَمْسِيَةِ الشِّتاءِ كَيْفَ تَغْزِلُ وتَخيطُ .

كانَتْ جانُ بِنْتًا هادِئَةً ومُتَدَيِّنَةً ، ومُحِبَّةً لِلذَّهابِ إِلى الكَنيسَةِ مَعَ والِدَيْها . وفي بَعْضِ الأَحْيانِ ، كانَتْ تَجْلِسُ في كَنيسَةِ القَرْيَةِ وَحْدَها ، بَيْنَما كانَ الأَوْلادُ الآخَرُونَ يَضْحَكُونَ ويَلْعَبُونَ عَلى مَرْجِ القَرْيَةِ . ولا شَكَّ في أَنَّ الأَوْلادَ الآخَرينَ ظَنُّوا أَنَّ هذا كانَ أَمْرًا غيرَ عادِيٍّ ، ولكِنَّ جان كانَتْ بِنْتًا قَوِيَّةً وصَحيحَةَ الجِسْمِ ، وتَعْمَلُ ما يَرُوقُ لَها .

وبَعْدَ ثَلاثينَ عامًا ، سُئِلَ سُكّانُ القَرْيَةِ ، الَّذينَ عَرَفُوها ، مِنْ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ البَناتِ كانَتْ . ومَعَ أَنَّ هذا حَدَثَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ ، فإِنَّ لَدَيْنا سِجِلًّا عَنْ أَقْوالِهِمْ ، كانَتْ بالفَرَنْسِيَّةِ طَبْعًا ، ولكِنْ هذِهِ هِيَ كَلِماتُهُم :

« كانَتْ جانُ دارْكُ بِنْتًا أُولِعَ بِها جَميعُ سُكّانِ دُومْرِمي . كانَتْ حَيِيَّةً وبَسيطَةً وتَقِيَّةً ، وتَذْهَبُ إِلى الكَنيسَةِ والأَماكِنِ المُقَدَّسَةِ ؛ وتَعْمَلُ ، وتَخْدِمُ ، وتَعْزِقُ (تَشُقُّ) الأَرْضَ في الحُقُولِ ، وتَقُومُ بِكُلِّ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ البيتُ . »



لَوْ عَلِمَ سُكَّانُ دُومْرِمي البُسطاءُ ، قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ جانُ الثامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها ، أَنَّ هذِهِ البِنْتَ الصَّغيرَةَ الهادِئَةَ سَتُصْبِحُ أَشْهَرَ النِّساءِ اللَّواتي وُلِدْنَ في فَرَنْسا قاطِبَةً ، لَاسْتَوْلَتْ عَلَيْهِم دَهْشَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا .

كانَتْ جانُ تُحِبُّ الإِصْغاءَ إِلى أَجْراسِ الكَنيسَةِ . وفي أَحَدِ الأَيّامِ ، بَيْنَما كانَتْ في حَديقَةِ أَبيها الهادِئَةِ ، خُيِّلَ إِلَيْها أَنَّها سَمِعَتْ أَصْواتًا تَتَحَدَّثُ إِلَيْها مِنْ خِلالِ أَصْواتِ الأَجْراسِ . كانَتْ لا تَزالُ في الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها ، وقالَتْ بَعْدَ ذلِكَ إِنَّها أُصيبَتْ بِخَوْفٍ شَديدٍ .

كانَتِ الأَصْواتُ وُدِّيَّةً ولَطيفَةً ، تَطْلُبُ إِلَيْها دائِمًا أَنْ تَكُونَ بِنْتًا صالِحَةً ، وتَذْهَبَ إِلى الكَنيسَةِ مِرارًا . ولَمّا لَمْ تَكُنْ لِجانَ أَيَّةُ رَغْبَةٍ في أَنْ تَكُونَ غَيْرَ ذلِكَ ، وكانَتْ تَذْهَبُ طَوْعًا إِلى الكَنيسَةِ ، لَمْ تَجِدْ شَيْئًا غَريبًا في ذلِكَ .

ولكِنَّ جان صارَتْ تَرَى رُؤًى غَريبَةً ، بَيْنَما كانَتْ تُصْغي إِلى الأَصْواتِ . وكانَ يُخَيَّلُ إِلَيْها ، أَوَّلَ الأَمْرِ ، أَنَّها تَراها مِنْ خِلالِ الضَّبابِ ، ولكِنَّها قالَتْ بَعْدَ ذلِكَ : « لَقَدْ رَأَيْتُها بِعَيْنَيَّ ، اللَّتَيْنِ في وَجْهي ، بِوُضوحٍ كَما أَراكُمْ ، وعِنْدَما تَخْتَفي كُنْتُ أَبْكي ، وأُصْبِحُ شَقِيَّةً جِدًّا . » ونَما حُبُّ الأَصْواتِ في قَلْبِ جانَ نُمُوًّا شَديدًا ، جَعَلَها تُعْطي قارِعَ الجَرَسِ هَدايا صَغيرَةً .



وعِنْدَما بَلَغَتْ جانُ السّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها ، اتَّخَذَت الرُّؤى أَشْكالَ القِدّيسِ ميشيلَ ، والقِدّيسَتَيْنِ شَفيعَتَيِ اللّورينْ ، القِدّيسَةِ كاترين والقِدّيسَةِ مَرْغريتَ .

كانُوا يَحْمِلُونَ رِسالَةً جَديدَةً إِلَى فَلّاحَةِ دُومْرِمي . أَخْبَروها أَنَّها سَتَكُونُ مُنْقِذَةَ وَطَنِها، بِطَرْدِ الإِنْكليزِ المَكْروهينَ إِلَى البَحْرِ ، وأَنَّها سَتَقُودُ جُيوشَ فَرَنْسا إِلَى النَّصْرِ ، وتُتَوِّجُ مَلِكًا صَغيرًا في رِيْمْسَ، هُوَ شارلُ السّابِعُ .

كانَ الإِنكليزُ يَهْزِمُونَ الجُنودَ الفَرَنْسِيّينَ في كُلِّ مَكانٍ، وكانَ الشَّعْبُ الفَرَنْسِيُّ ، دُونَ أَمَلٍ ، وبائِسًا، وفاتِرَ العَزيمَةِ تَمامًا . وكانَتِ الغَلّاتُ لا تُجْمَعُ ، وتُعَفِّنُ في الحُقولِ، والتِّجارَةُ كُلُّها في كَسادٍ .

بَدا أَنَّهُ يَسْتَحيلُ عَلَى بِنْتٍ قَرَوِيَّةٍ بَسيطَةٍ ، أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا ضِدَّ آلافِ الجُنودِ الإِنكليز القُساةِ ، الَّذينَ كانُوا يُرْعِبُونَ أَهْلَ الرِّيفِ، ولَمْ تُصَدِّقْ جانُ، في أَوَّلِ الأَمْرِ ، ما كانَتْ تُخْبِرُها بِهِ أَصْواتُها . ومَعَ ذلِكَ ، كانَتْ هُنالِكَ نُبوءَةٌ قَديمَةٌ تَقُولُ بِأَنَّ فَتاةً مِنَ اللّورينِ سَتُنْقِذُ فَرَنْسا يَوْمًا ما . ومِنَ المُرَجَّحِ جِدًّا أَنْ تَكُونَ جانُ قَدْ سَمِعَتْ بِهذِهِ النُّبوءَةِ، وعِنْدَما تُصْغي إِلَى الأَجْراسِ ، كانَتْ تَرَى أَنَّها هِيَ نَفْسُها الفَتاةُ المُخْتارَةُ .



كانَ جَيْشٌ إنكليزيٌّ، مُؤَلَّفٌ مِنْ عَشَرَةِ آلافِ جُنْدِيٍّ، يُحاصِرُ مَدينَةَ أورليان. ولَوِ استَطاعُوا الاستِيلاءَ عَلَيْها، لَفُتِحَتْ لَهُمُ الطَّريقُ، لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى جَنوبِ فَرَنْسا كُلِّهِ.

أَخْبَرَتِ الأَصْواتُ جانَ بِأَنْ تَذْهَبَ إِلى أورليان، وتُنْقِذَ المَدينَةَ بِطَرْدِ الإِنْكليزِ.

قالَتْ إِنَّها، أَوَّلَ الأَمْرِ، وَقَعَتْ في حَيْرَةٍ، ولَمْ تَكُنْ مَسْرورَةً. فَذَهَبَتْ، وهيَ في ذلِكَ القَلَقِ الذِهْنِيِّ، إِلى أَبيها، الَّذي كانَ زَعيمًا في قَرْيَةِ دُومْرِمي. ومَعَ أَنَّ جانَ كانَتْ لا تَزالُ في السادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها، فَقَدْ كانَ لَها الحِسُّ العامُّ المَوجودُ في فَتاةٍ رُبِّيَتْ في الرِّيفِ، وإِنْ كانَتْ لا تَزالُ في نَظَرِ أَبيها بِنْتًا صَغيرَةً. فَهَزَأَ بِها، ولا شَكَّ في أَنَّهُ نَصَحَها بِأَنْ لا تَكُونَ سَخيفَةً.

عادَتْ جانُ إِلى الاهتِمامِ بالماشِيَةِ، والعَمَلِ في الحُقولِ، ولكِنَّ الأَصْواتَ واصَلَتْ تَشْجيعَها عَلَى العَمَلِ. فذَهَبَتْ إِلى أَبيها ثانِيَةً، وفي هذِهِ المَرَّةِ غَضِبَ عَلَيْها، وقالَ لَها إِنَّهُ يُفَضِّلُ أَنْ يُغْرِقَها هُوَ نَفْسُهُ بِيَدَيْهِ، عَلى أَنْ يَسْمَحَ لَها بالقِيامِ بِعَمَلٍ جُنونِيٍّ كهذا. وَهُوَ طَبْعًا لَمْ يَكُنْ يَنْوي القِيامَ بِعَمَلٍ مِنْ هذا النَّوْعِ، ولكِنَّهُ كانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ ما أَرادَتِ ابْنَتُهُ فِعْلَهُ كانَ عَمَلًا سَخيفًا وَشِرّيرًا في آنٍ واحِدٍ.



كانَتْ جانُ بِنْتًا شَدِيدَةَ التَّدَيُّنِ ، واَعْتَقَدَتِ اَعْتِقادًا قَوِيًّا أَنَّ اللهَ كانَ يَتَحدَّثُ إِلَيْها مِنْ خِلالِ الأَصْواتِ، الَّتِي كانَتْ تَسْمَعُها . ولَمْ تَجْرُؤْ عَلَى عِصْيانِها .

كانَتْ بَلْدَةُ ڤوكولورَ المُسَوَّرَةُ، الَّتِي تَبْعُدُ نَحْوَ عَشْرَةِ أَمْيالٍ أَوِ اثْنَي عَشَرَ مِيلًا عَنْ دُومْرِمي، يَحْكُمُها فَرَنْسِيٌّ نَبِيلٌ اَسْمُهُ روبير دو بودريكور . قَرَّرَتْ جانُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ، وتَطْلُبَ مُساعَدَتَهُ . كانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ أَباها لَنْ يَسْمَحَ لَها بِهذا، وَلِذا ذَهَبَتْ أَوَّلًا إِلَى قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ ڤوكولورَ، لِكَيْ تُقِيمَ مَعَ أَحَدِ أَقارِبِ أُمِّها .

فَأَخْبَرَتْهُ عَمَّا كانَتِ الأَصْواتُ قَدْ أَمَرَتْها أَنْ تَعْمَلَهُ . فَشَكَّ في صِحَّةِ أَقْوالِها، ولكِنَّ جانَ كانَتْ مُتَشَبِّثَةً بِرَأْيِها، ومُلِحَّةً . وأَخِيرًا وافَقَ عَلَى أَنْ يَأْخُذَها إِلَى بُودريكور .

رَفَضَ روبيرُ دو بودريكورُ أَنْ يَقُومَ بِأَيِّ عَمَلٍ بِالاَشْتِراكِ مَعَها . وفي وُسْعِنا أَنْ نَتَصَوَّرَ الدَّهْشَةَ الَّتِي استَوْلَتْ عَلَى هذا النَّبِيلِ الفَرَنْسِيِّ، عِنْدَما أَخْبَرَتْهُ فَلّاحَةٌ بَسِيطَةٌ، تَرْتَدِي ثَوْبًا صُوفِيًّا أَحْمَرَ بالِيًا، بِأَنَّ السَّماءَ أَرْسَلَتْها لإِنْقاذِ فَرَنْسا . فقالَ لِقَرِيبِ أُمِّها : « سُدَّ أُذُنَيْها ، وأَعِدْها إِلَى مَنْزِلِها . » ولكِنَّ جانَ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يُمْكِنُ تَأْخِيرُ تَنْفِيذِ رَغَباتِهِمْ . وكانَ الإِنْكليزُ يَهْزِمُونَ الجُنودَ الفَرَنْسِيِّينَ في كُلِّ مَكانٍ . يَجِبُ القِيامُ بِعَمَلٍ ما ، وبَدَأَ بودريكورُ أَخِيرًا يَتَساءَلُ عَمّا إِذا كانَ هُنالِكَ بَعْضُ الصِّدْقِ في ما قالَتْهُ جانُ .



كانَ العَصْرُ الّذِي عاشَتْ فيهِ جانُ مُؤْمِنًا بالخُرافاتِ، وكانَ النّاسُ لا يَزالُونَ يُؤْمِنُونَ بالسّاحِراتِ، والإشاراتِ المُباشِرَةِ مِنَ السَّماءِ. وٱعتَقَدَ روبيرُ دو بُودريكورُ أنَّ الجُنودَ الفَرَنْسِيّينَ إذا آمَنُوا بِأَنَّ جانَ كانَتْ مُرْسَلَةً مِنَ السَّماءِ لِتَقُودَهُمْ، فَذلِكَ قَدْ يُوَلِّدُ فيهم بَعْضَ الشَّجاعَةِ.

كانَ الفَرَنْسِيُّونَ حَدِيثِي عَهْدٍ بِخَسارَةِ مَعْرَكَةٍ تُسَمَّى مَعْرَكَةَ الفَسِيخِ، لِأَنَّهُمْ أَخْفَقُوا في إيقافِ قافِلَةٍ تَحْمِلُ سَمَكَ الفَسِيخِ إلى المُخَيَّمِ الإنكليزيِّ خارِجَ أُورليان. وكانَتِ الحامِيَةُ الفَرَنْسِيَّةُ داخِلَ المَدينَةِ، قَدْ أَرْغَمَها الجُوعُ عَلَى طَلَبِ الاَستِسْلامِ. وبَدَا أنَّ جانَ كانَتْ آخِرَ أَمَلٍ لدو بودريكورَ.

كانَ شارلُ السّابِعُ في شِينونَ، عَلَى بُعْدِ ثَلاثِمِئَةِ مِيلٍ مِنْ فُوكولورَ. ولِلْوُصولِ إلَيْهِ، كانَ عَلَى جانَ أَنْ تَسيرَ عَلَى ظَهْرِ جَوادِها عَبْرَ فَرَنْسا، وعَبْرَ أَرْضٍ يُسَيْطِرُ عَلَيْها الإنْكِليزُ وجُنودُ بُورغُنْدي، الّذينَ كانُوا مَعَ الإنْكِليزِ يُحارِبُونَ الفَرَنْسِيّينَ. وهِيَ رِحْلَةٌ شَديدَةُ الخَطَرِ جِدًّا.

انطَلَقَتْ جانُ عَلَى ظَهْرِ جَوادٍ، يُرافِقُها شابّانِ فَرَنْسِيّانِ نَبِيلانِ. وكانَتِ الأَصْواتُ قَدْ طَلَبَتْ إلَيْها أَنْ تَرْتَدِيَ ثَوْبَ رَجُلٍ، لِذا قَصَّرَتْ شَعْرَها، ولَبِسَتْ ثَوْبًا وجَوْرَبًا طَويلًا غامِقَيْنِ. وأَعْطاها روبيرُ دو بودريكورُ سَيْفًا قَديمًا، وقالَ: «اِذْهَبِي، ولْيَحْدُثْ ما يَحْدُثُ.» ولَمْ تَكُنْ تِلْكَ البَعْثَةُ مُشَجِّعَةً جِدًّا.



كانَ الفَصْلُ شِتاءً، وكانَ عَلَى الجَماعَةِ، لِكَيْ يَتَجَنَّبُوا الإنْكِليزَ، أنْ يَسْلُكُوا طُرُقًا صَغِيرَةً فَرْعِيَّةً، لَمْ تَكُنْ في الحَقِيقَةِ سِوَى طُرُقٍ عَبَّدَتْها الأقْدامُ. وكانَ هُنالِكَ أيْضًا نَهْرانِ عَرِيضانِ، عَلَيْهِمْ أنْ يَعْبُرُوهُما، وقَدْ عَرَفُوا أنَّ الجُسُورَ تَكُونُ مُراقَبَةً ومَحْرُوسَةً.

دامَتِ الرِّحْلَةُ أحَدَ عَشَرَ يَوْمًا. وكانَ عَلَيْهِمْ، في أغْلَبِ الأحْيانِ، أنْ يَقْضُوا اللَّيْلَ في الخَلاءِ، لِأنَّ مَبِيتَهُمْ في أيِّ مَأْوًى كانَ ذا خَطَرٍ شَدِيدٍ. ووَصَلُوا إلَى بَلْدَةِ شِينونَ الصَّغِيرَةِ وَهُمْ مُبْتَلُّونَ جِدًّا وتَعِبُونَ جِدًّا. ووَجَدُوا أنَّ مُقابَلَةَ المَلِكِ لَمْ تَكُنْ سَهْلَةً أبَدًا.

تَغَيَّرَتْ شِينونُ قَلِيلًا جِدًّا، مُنْذُ تَرَجَّلَتْ جان دارْكُ عَنْ جَوادِها وتَسَلَّقَتِ القَلْعَةَ. أمّا البُيُوتُ القَدِيمَةُ ذاتُ السُّقُوفِ الَّتي تُحاكي المُثَلَّثَ، والشَّوارِعُ المُتَعَرِّجَةُ فَلا تَزالُ كَما عَرَفَتْها جانُ مُنْذُ أكْثَرَ مِنْ خَمْسِمِئَةِ سَنَةٍ.

والقَلْعَةُ الَّتي أصْبَحَتْ خَرابًا الآنَ لا تَزالُ قائِمَةً عَلَى صَخْرٍ عالٍ فَوْقَ نَهْرِ فِيين. وهوَ أحَدُ رَوافِدِ نَهْرِ اللُّوارِ وكانَ ريكاردوسُ قَلْبُ الأسَدِ، المَلِكُ البَرِيطانِيُّ، قَدْ جَعَلَ بَلاطَهُ في تِلْكَ القَلْعَةِ قَبْلَ ذلِكَ بِمِئَتَيْ سَنَةٍ. ويُمْكِنُكَ أنْ تَقْرَأَ عَنْ ريكاردوسَ هذا في كِتابٍ آخَرَ مِنْ هذِهِ السِّلْسِلَةِ وهُنالِكَ حَجَرٌ في أعْلَى جِدارِ إحْدَى الغُرَفِ الخَرِبَةِ، نُقِشَ عَلَيْهِ أنَّ جان دارْك اجْتَمَعَتْ بالدوفين شارل السابع ولي عهد فَرَنْسا. أوَّلَ مَرَّةٍ، في هذِهِ الغُرْفَةِ.



كانَ شارلُ ضَعيفًا في جِسْمِهِ وعَقْلِهِ، يُسَيْطِرُ عَلَيْهِ مُسْتَشارُوهُ سَيْطَرَةً تامَّةً . فَفي أَوَّلِ الأَمْرِ رَفَضُوا أَنْ يَسْمَحُوا لَهُ باسْتِقْبالِ جان، ولكِنَّ النّاسَ كانُوا قَدْ سَمِعُوا بِرِسالَتِها، وَرَفْضُ مُقابَلَتِها قَدْ يُؤَدّي إلى الخَطَرِ .

لَمْ يُصَدِّقْ أَيُّ واحِدٍ مِنْهُمْ قِصَّتَها عَنِ الأَصْواتِ الَّتي تُحَدِّثُها، ولِكَيْ يُثْبِتُوا كَذِبَها، جَعَلُوا شارلَ يَتَنَكَّرُ في ثِيابِ أَحَدِ رِجالِ بَلاطِهِ، وجَعَلُوا شابًّا آخَرَ يَجْلِسُ عَلَى العَرْشِ . وكانَ ذلكَ اخْتِبارًا لِمَعْرِفَةِ صِحَّةِ قِصَّةِ أَصْواتِ جان أَوْ كَذِبِها . وكانَتْ حُجَّتُهُمْ، أَنَّ جان لَوْ كانَتْ صادِقَةً، لَمَا أَمْكَنَ خِداعُها .

أُدْخِلَتْ جان إلى وَسَطِ البَلاطِ المُشِعِّ، وعَلَيْها آثارُ السَّفَرِ البادِيَةُ عَلى ثَوْبِها وجَوْرَبِها الطَّويلِ. نَظَرَتْ إلى السَّيِّداتِ الجَميلاتِ حَوْلَها، وهُنَّ في ثِيابِهِنَّ النَّفيسَةِ. فَضَحِكَ رِجالُ البَلاطِ وسَيِّداتُهُ، وظَنُّوا أَنَّ تِلْكَ كانَتْ نِهايَةَ قِصَّتِها السَّخيفَةِ

وَقَدْ جاءَ في كِتاباتِ الَّذينَ كانُوا حاضِرينَ، أَنَّ البِنْتَ الفَلّاحَةَ ابْتَسَمَتْ، وهَزَّتْ رَأْسَها لِلشّابِّ الجالِسِ عَلَى العَرْشِ. ثُمَّ اسْتَدارَتْ ودَهَبَتْ رَأْسًا إلى شارْل المُتَنَكِّرِ، فَرَكَعَتْ، وقالَتْ: «لَقَدْ أَرْسَلَني اللهُ لِأُخْبِرَكَ بِأَنَّكَ سَتُصْبِحُ مَلِكَ فَرَنْسا الحَقيقِيَّ .»



اِقتَنعَ شارلُ بِأنَّ جانَ قَدْ أُرْسِلَتْ حقًّا لِتَستَعِيدَ مَملَكتَهُ. ولكِنَّ المُسْتَشارِينَ ظَلَّ الشَكُّ يُساوِرُهُمْ (يُصارِعُهم). وأَلَحُّوا عَلَى أَنْ يَفْحَصَها أَيْضًا جَماعَةٌ مِنَ العُلَماءِ ومِنْ كِبارِ كَهَنَةِ الكَنِيسَةِ.

ويُرَجَّحُ أَنْ تَكُونَ جانُ قَدْ تَساءَلَتْ عَنْ أَسْبابِ تِلْكَ الضَّجَّةِ كُلِّها. وقَدْ أَجابَتْ عَنْ أَسْئِلَتِهِمْ جَميعِها بِصَراحَةِ فَلّاحَةٍ بَسيطَةٍ وإِخْلاصِها، وقالَتْ: «لا أَسْتَطيعُ القِراءَةَ أَوِ الكِتابَةَ، ولكِنّي أَعْلَمُ أَنَّ أَصْواتي قَدْ أَمَرَتْني بِأَنْ أَرْفَعَ الحِصارَ عَنْ أورليانَ، وأُتَوِّجَ المَلِكَ في رِيْمس»

كانَتْ جانُ فَتاةً رِيفِيَّةً، وُجِدَتْ في ظُروفٍ كانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تُزْعِجَها أَوْ تُخيفَها. وعِنْدَما حاوَلَ أَحَدُ فاحِصِيها، الّذي كانَ يَتَكَلَّمُ بِأُسْلوبٍ خَشِنٍ مُسْتَهْجَنٍ، أَنْ يُضايِقَها بِسُؤالِهِ إِيّاها عَنِ اللَّهْجَةِ، الّتي كانَتْ أَصْواتُها تَتَحَدَّثُ إِلَيْها بِها، ابْتَسَمَتْ، وقالَتْ لَهُ «بِلَهْجَةٍ أَحْسَنَ مِنْ لَهْجَتِكَ.»

أَقْنَعَ إِيمانُها البَسيطُ الكُهّانَ، ولكِنَّهُ لَمْ يُقْنِعِ المُسْتَشارينَ الّذينَ كانُوا يُحيطُونَ بِشارلَ. ولكِنَّ حالَةَ فَرَنْسا كانَتْ تَسيرُ مِنْ سَيِّئٍ إِلى أَسْوَأَ، وكانُوا مُسْتَعِدّينَ لِتَجْرِبَةِ أَيِّ شَيْءٍ. ومَعَ أَنَّ جانَ كانَتْ في نَظَرِهِمْ فَلّاحَةً مَخْدوعَةً، خُيِّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّ الجُنودَ قَدْ يَعْتَبِرونَها نَوْعًا مِنَ الأُمورِ الّتي تَجْلِبُ الحَظَّ. فوافَقُوا عَلَى إِرْسالِها إِلَى أورليانَ.



أَلْبَسَتْ جانُ دِرْعًا، وثَوْبًا أَبْيَض وقِرْمِزِيًّا، لِكَيْ تُؤَثِّر تأثِيرًا حسنًا في نُفوسِ الجُنودِ الفَرَنْسِيّين. ورُفِع أَمامَها علَمٌ، مُزَيَّنٌ بصُورَةٍ لِسَيِّدِ المَسيحِ. وقيل إِنّه بَدَتْ شَيْئًا كُلُّهُ مُقَدَّسٌ.

وقَدْ رُوِيَتْ قِصَصٌ وأَساطِيرُ كثيرةٌ عَنْ أُولئك الَّذين أَصْبَحُوا مَشْهُورين في تاريخِ بلادِهِمْ مِثْل جان دارْك. وقَدْ يكُونُ بَعْضُها حقيقيًّا، والبَعْضُ الآخَرُ غيْرَ حَقِيقِيٍّ.

وتَدورُ إِحْدَى الحِكاياتِ الَّتي رُوِيَتْ عَنْ جان دارْك حوْلَ الجَوادِ الَّذي أُعْطِيَ لها لِكَيْ تَرْكَبَهُ، وهُوَ جوادٌ أَكْثَرُ أَصالَةً ونشاطًا مِن الجَوادِ الَّذي كانَتْ قَدْ رَكِبَتْهُ مِنْ فُوكولور. كانَ يُطَأْطِئُ (يخفض) رَأْسَهُ، ويَعْتَمِدُ عَلَى يَدَيْهِ، ويَضْرِبُ بِرِجْلَيْهِ الهواءَ، ويَقِفُ على رِجْلَيْهِ ويَرْفَعُ يدَيْهِ، لِكَيْ لا يُمَكِّنَها مِنْ رُكُوبِهِ. فقالَتْ لَهُمْ: «خُذُوهُ إِلَى الصَّليب» فأُخِذَ الجوادُ إِلَى الصَّليبِ في السُّوقِ، فوقَف هادِئًا.

وهُنالِكَ أُسْطُورَةُ سيْفِ مارتِل، البَطَلِ الفَرَنْسِيِّ، الَّذي أَنْقَذ فرنسا مِن المُسْلِمِينَ قَبْل ذلِك بِسِتَّةِ قُرونٍ. وقَدْ طَلَبَتْ جانُ إِحْضارَهُ مِن المَكانِ الَّذي ظَلَّ مَخْبَأً فيه مِئاتِ السِّنين، مِنْ وراءِ المَذْبَحِ في كنيسةِ فييربوا. ولَمْ يكُنْ أَحَدٌ يَعْرِفُ شيئًا عنْهُ، ولكِنَّهُمْ عِنْدما حفروا الأَرْضَ خلْفَ المَذْبَحِ، وَجَدُوهُ وأَحْضَرُوهُ لِجانَ.



ثُمَّ أُرْسِلَتْ جانُ بِحِراسَةٍ كافِيَةٍ إِلى بلوا، الواقِعَةِ في مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ شِينون وأُورليانَ . وَهُنا أُسْنِدَتْ إِلَيْها قِيادَةُ سِتَّةِ آلافِ رَجُلٍ . وأَمَّلَ مُسْتَشارُو شارل، عَلَى الأَرْجَحِ ، أَنَّ جانَ، البِنْتَ الفَلّاحَةَ الَّتي عُمْرُها سَبْعَةَ عَشَرَ عامًا، عِنْدَما تَجِدُ نَفْسَها تَقُودُ جَيْشًا، سَتَنْهارُ أَعْصابُها، وتَرْكُضُ عائِدَةً إِلى دُومْرِمي .

جُبِلَتْ جانُ مِنْ طِينٍ صُلْبٍ . ولا شَكَّ في أَنَّ الجُنُودَ قَدْ دُهِشُوا عِنْدَما رَأَوْها، وعَلِمُوا بِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوا أَوامِرَها . وقَدِ ازدادَتْ دَهْشَتُهُمْ عِنْدَما أَلَحَّتْ عَلَيْهِمْ بِضَرُورَةِ الذَّهابِ جَمِيعًا إِلى الكَنِيسَةِ أَوَّلًا .

كانَ أَحَدُ القُوّادِ رَجُلًا مِنْ غاسقونيا، اسْمُهُ لاهير . كانَ قائِدًا حَسَنًا شُجاعًا، ولكِنَّهُ كانَ، مِثْلَ كَثيرٍ مِنَ الجُنودِ، يَتَفَوَّهُ بِكَثيرٍ مِنَ الأَلْفاظِ القَبِيحَةِ . فقالَتْ لَهُ جانُ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْ ذلِكَ، وأَدْهَشَهُ جِدًّا أَنَّهُ أَطاعَ أَمْرَها .

هَزِئَ الإِنْكليزُ بالأمر . وقَدْ نَظَرُوا إِلى جانَ نَظْرَتَهُمْ إِلى ساحِرَةٍ أَثَّرَتْ بِسِحْرِها في المَلِكِ الفَرَنْسِيِّ . وفي الوَقْتِ نَفْسِهِ كانُوا مُتَضايِقِينَ مِنْها وكانَ كُلُّ واحِدٍ عامَ ١٤٢٨ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِلسّاحِراتِ قُدْرَةً عَلى الإِيذاءِ . وفي الفَصْلِ الأَوَّلِ مِنْ تَمْثِيلِيَّةِ هنري السّادِسِ ، يَتَبَنّى شكسبيرُ نَظْرَةَ الإِنْكليزِ إِلى جانَ، فَيَصِفُها بِأَنَّها رُوحُ فَرَنْسا الشَّيْطانِيَّةُ



قَبْلَ الأَنْطِلاقِ مِنْ بلوا، أَمْلَتْ جان، الَّتي لا تُحْسِنُ القِراءَةَ ولا الكِتابَةَ، رسالَةً إلى مَلِكِ إنْكِلترا وَجنرالاتِهِ، قائِلَةً إنَّ اللهَ أَرْسَلَها لِتُعيدَ فَرَنْسا إلى المَلِكِ الشَّرْعِيِّ. وطَلَبَتْ مِنْهُمْ إعادَةَ جَميعِ البِلادِ الفَرَنْسِيَّةِ، الَّتي كانُوا قَدِ احْتَلُّوها.

وعِنْدَما رَأَتْ جانُ أَنَّها لَمْ تَتَلَقَّ جَوابًا، رَكِبَتْ جَوادَها، وانطَلَقَتْ في مُقَدِّمَةِ الجَيْشِ إلى أورليانَ. لِتَجِدَ أَنَّ الإنْكِليزَ كانُوا قَدْ بَنَوْا مَجْمُوعَةً مِنَ الحُصُونِ، أَسْمَوْها (باستيلات)، حَوْلَ البَلَدِ. كانَتْ تَنْوي التَّمَلُّصَ مِنَ الإنْكِليزِ. ودُخولَ البَلَدِ مَعَ جُنودِها. وهذا سَيَزيدُ عَدَدَ الحامِيَةِ سِتَّةَ آلافِ رَجُلٍ، فَيُصْبِحُونَ أَقْوِياءَ إلى حَدٍّ، يَسْتَطيعُونَ بِهِ مُهاجَمَةَ الإنْكِليزِ.

عِنْدَما وَصَلَتْ جانُ إلى أُورْليانَ، وَجَدَتْ أَنَّ القادَةَ الفَرَنْسِيِّينَ كانُوا قَدْ خَدَعُوها غَضِبُوا لِأَنَّها أُمِرَتْ عَلَيْهِمْ وأَرادوا أَنْ لا تَنْجَحَ. فاتَّجَهُوا بِها شَطْرَ الجانِبِ الجَنُوبِيِّ مِنْ نَهْرِ اللّوارِ. وتَقَعُ أُورليانُ في الجِهَةِ الشَّمالِيَّةِ. وهَبَّتْ رِيحٌ مُعاكِسَةٌ جَعَلَتْ مِنَ المُسْتَحيلِ عُبورَ النَّهْرِ العَريضِ.

ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الرِّيحُ فَجْأَةً. وهذا جَعَلَ الإنْكِليزَ يَزْدادُونَ ثِقَةً بِأَنَّ جان كانَتْ ساحِرَةً، وأَنَّها اسْتَعْمَلَتْ سِحْرَها، لِتَجْعَلَ الرِّيحَ تَهُبُّ كَما تَشاءُ



كانَتْ جانُ قَدْ أحْضَرَتْ مَعَها كَثيرًا مِنَ الأَطْعِمَةِ والأَسْلِحَةِ اللاّزِمَةِ لِلْحامِيَةِ المُحاصَرَةِ . ولمّا لَمْ يَكُنْ مَعَ جانَ قَوارِبُ كافِيَةٌ لِنَقْلِ جَميعِ الجُنودِ عَبْرَ النَّهْرِ ، فَقَدْ أَرْسَلَتْ مُعْظَمَهُمْ لِيَعْبُروا النَّهْرَ بِواسِطَةِ أَقْرَبِ جِسْرٍ نَحْوِهِ مصَبّهِ . أَمّا هِيَ نَفْسُها فَقَدْ عَبَرَتِ النَّهْرَ بالقارِبِ . ورُحِّبَ بِها تَرْحيبًا حارًّا فَقَدْ سَبَقَتْها قِصَّتُها إلَى النّاسِ ، الّذينَ أَيْقَنوا الآنَ أَنَّ السَّماءَ تُؤَيِّدُها .

وعِنْدَما سَمِعَ الإِنْكِليزُ أَجْراسَ الكَنائِسِ تُقْرَعُ ، وهُتافاتِ النّاسِ ، اسْتَوْلَى عَلَيْهِمُ الخَوْفُ والتَّشاؤُمُ . وعِنْدَما زَحَفَ الجُنودُ الفَرَنْسِيّونَ على المَدينَةِ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي ، بَعْدَ أَنْ عَبَروا النَّهْرَ ، عَجَزَ الإِنْكِليزُ عَنْ صَدِّهِمْ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ مِنَ «السّاحِرَةِ» .

كانَتِ الجُيوشُ ، في تِلْكَ الأَيّامِ ، تُحارِبُ بَعْضُها بَعْضًا ، عَنْ مَدًى قَريبٍ . وكانَتْ جانُ تَكْرَهُ قَتْلَ أَيِّ إِنْسانٍ ، لِذا طَلَبَتْ مِنَ القائِدِ الإِنْكِليزِيِّ عَبْرَ النَّهْرِ ، رَفْعَ الحِصارِ عَنِ المَدينَةِ ، والرَّحيلَ عَنْها . لكِنَّ الإِنْكِليزَ أَجابوها بِأَجْوِبَةٍ ساخِرَةٍ ، فَعادَتْ حَزينَةً إلى مَقَرِّها .

ومَعَ أَنَّ جانَ كانَتْ تَكْرَهُ فِكْرَةَ الحَرْبِ ، فَقَدْ كانَتْ لَدَيْها شَجاعَةٌ لا تَقِلُّ عَنِ الشَّجاعَةِ لَدَى أَيِّ واحِدٍ مِنْ جُنودِهِ . قادَتْهُمْ مِرارًا وتَكْرارًا ، حاثَّةً إِيّاهُمْ عَلَى الحَرْبِ ، ومُلَوِّحَةً بِسَيْفِها ، وإِنْ لَمْ يوجَدْ سِجِلٌّ يَذْكُرُ أَنَّها اسْتَعْمَلَتْهُ مَرَّةً واحِدَةً . لَمْ تَكُنْ في حاجَةٍ إلَى ذلِكَ



فلِكَيْ يَتمَكَّنُوا مِنْ طَرْدِ الإنْكيزِ ، كانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى المَراكِزِ الحَصِينَةِ ، الَّتِي حاصَرَ الإنْكيزُ بِها أورليانَ . وبَيْنَما كانَتْ جان تَسْتَرِيحُ ، ذَهَبَ القادَةُ الفَرَنْسِيُّونَ ، وهاجَمُوا أَحَدَها ، واسْمُهُ أُوغسطينُ . وعِنْدَما أَيْقَظَ صَوْتُ المَعْرَكَةِ جان ، أَسْرَعَتْ في ارْتِداءِ دِرْعِها ، وذَهَبَتْ إِلى المَكانِ الَّذي يَصْدُرُ مِنْهُ صَوْتُ المَعْرَكَةِ .

كانَتْ كِفَّةُ الإنْكيزِ هِيَ الرّاجِحَةَ ، وكانَ الفَرَنْسِيُّونَ عَلى وَشْكِ التَّقَهْقُرِ ، عِنْدَما ظَهَرَتْ جانُ في وَسَطِهِمْ . فَأَنْعَشَ الفَرَنْسِيِّينَ دِرْعُها اللّامِعُ ، والرّايَةُ الَّتِي تَحْمِلُها ، وأَهَمُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وُجُودُها بَيْنَهُمْ . فصاحُوا : « الصَّبِيَّةُ ! الصَّبِيَّةُ ! » وارْتَدُّوا إِلى الإنْكليزِ ، الَّذِينَ خافُوا مِنْ سِحْرِها ، فَوَلَّوا الأَدْبارَ هارِبِينَ .

وبَعْدَ يَوْمَيْنِ ، قادَتْ جانُ جُنودَها ، الَّذِينَ أَصْبَحُوا الآنَ مُخْلِصِينَ لَها ، إِلى مَرْكَزٍ حَصِينٍ آخَرَ ، اسْمُهُ توريلُ . وكانَتْ جانُ في طَلِيعَةِ الهُجومِ ، وَهِيَ نَفْسُها وَضَعَتْ أَوَّلَ سُلَّمٍ عَلَى جِدارِ الحِصْنِ . وبَيْنَما كانَتْ تَرْتَقِي دَرَجاتِهِ ، أَصابَها سَهْمٌ في كَتِفِها فَجَرَحَها .

فَحُمِلَتْ جانُ إِلى المُؤَخَّرَةِ لِتَضْمِيدِ جُرْحِها . واسْتَوْلَى الفَزَعُ عَلى الفَرَنْسِيِّينَ ، عِنْدَما رَأَوْها تَذْهَبُ ضَعِيفَةً ، والجُرْحُ يُؤْلِمُها ، فكادَ القائِدُ دونوا أَنْ يَأْمُرَ الفَرَنْسِيِّينَ بِالتَّقَهْقُرِ ، عِنْدَما ظَهَرَتْ جانُ ثانِيَةً ، وسَقَطَ الحِصْنُ بِيَدِ الفَرَنْسِيِّينَ .

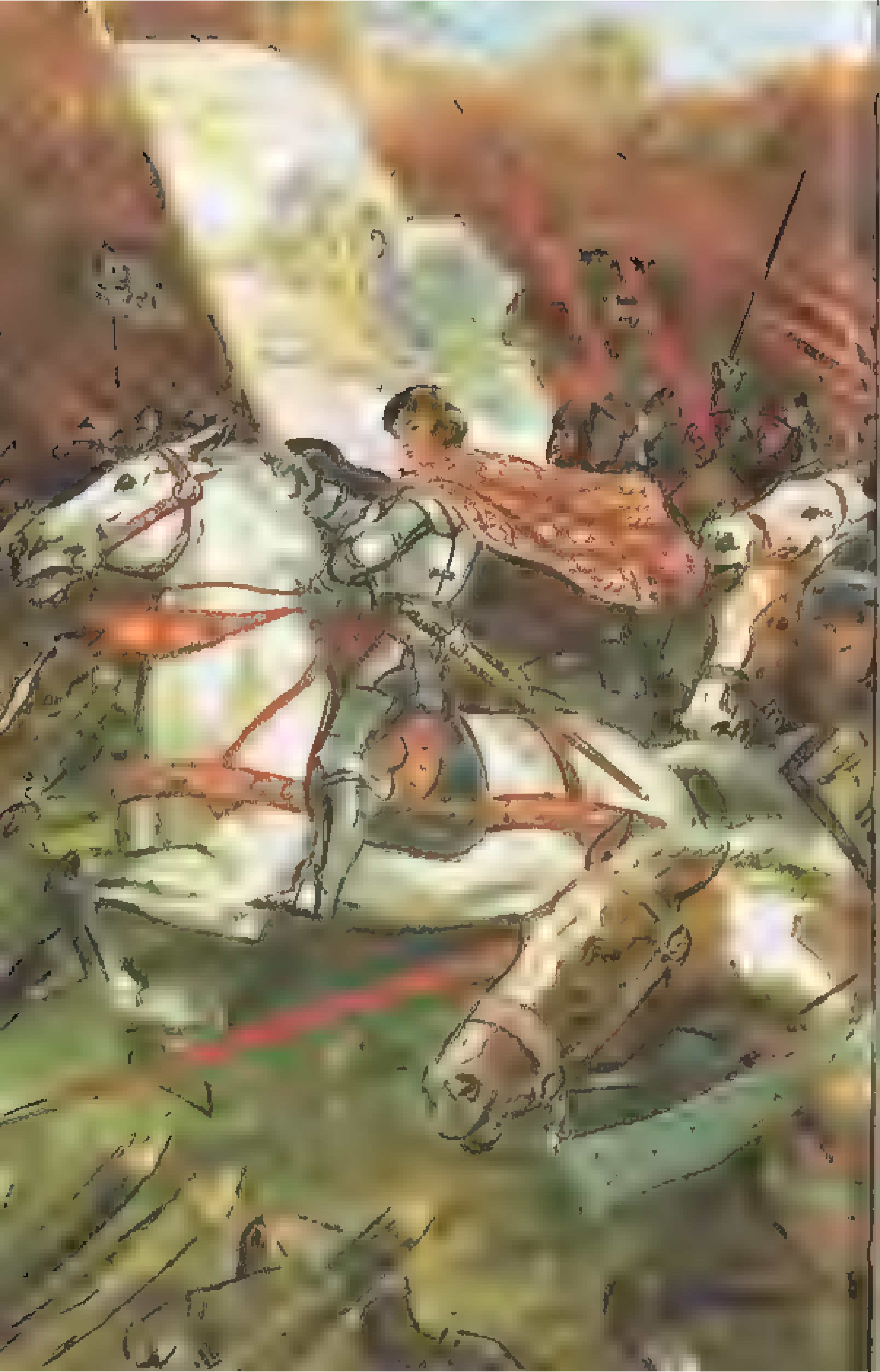


إِنتَهى حِصارُ أُورليان ، والإِنكليزُ آنسحَبوا ، لِأَنَّهُمُ اعتقدُوا أَنْ لا فائِدَةَ مِنْ مُحارَبَةِ السِّحْرِ . وعَمَّ المدينَةَ الفَرَحُ العَظيمُ . وامتَلأَتِ الكَنائِسُ بالنّاسِ ، الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَيْها لِكَيْ يَشْكُروا اللهَ عَلَى النَّصْرِ ، وجانُ في طَليعَتِهِمْ .

إِعتَقَدَ كُلُّ شَخْصٍ في فَرَنْسا ، ما عَدا بَعْضَ المُسْتَشارِينَ والكُهّانِ الَّذِينَ كانُوا يَغارُونَ مِنْها ، بِأَنَّ جانَ قَدْ أُرْسِلَتْ بِأُعْجُوبَةٍ لإِنْقاذِ البِلادِ وكانَ الجُنودُ مُسْتَعِدِّينَ لِلسَّيْرِ وراءَها إِلى أَيِّ مكانٍ . والأَهَمُّ مِنْ ذلِكَ هُوَ أَنَّ الجُنودَ الإِنكليزَ صارُوا يُحارِبُونَ بِهِمَّةٍ فاتِرَةٍ ، وكانُوا يَهْرُبُونَ غالِبًا ، عِنْدَما يَعْرِفُونَ أَنَّ « السّاحِرَةَ » كانَتْ تَقُودُ الجَيْشَ الفَرَنْسِيَّ .

لَمْ يَنْسَ أَبَدًا النّاسُ ، الَّذِينَ يَسْكُنُونَ مَدينَةَ أُورليان ، إِنْقاذَ جانَ دارْكَ لِمَدِينَتِهِمْ . وأُقِيمَ تِمْثالٌ لِتَخْليدِ ذِكْراها . ويُحْتَفَلُ كُلَّ عامٍ بالذِّكْرَى السَّنَوِيَّةِ بِرَفْعِ الحِصارِ عَنِ المَدينَةِ .

ويَتَذَكَّرُونَ ، بِصُورَةٍ خاصَّةٍ ، الاستيلاءَ عَلى حِصْنِ توريل ، الَّذي ضَمِنَ الاستيلاءُ عَلَيْهِ النَّصْرَ لِلْفَرَنْسِيِّينَ . ورُفِعَ صَليبٌ بَسيطٌ عَلى الضِّفَّةِ اليُسْرَى مِنْ نَهْرِ اللّوارِ ، لِكَيْ يَدُلَّ عَلَى المَكانِ ، الَّذي كانَ الحِصْنُ يَقُومُ عَلَيْهِ .



لَمْ يَكُنْ إِنْقاذُ أورليانَ سِوَى الابْتِداءِ . ولا يَزالُ آلافُ الجُنودِ الإِنْكليزِ في فَرَنْسا. يَحْتَلُّونَ البِلادَ الفَرَنْسِيَّةَ ، ويُحْرِقُونَ القُرَى، ويَنْشُرونَ الخَرابَ في كُلِّ مَكانٍ. يَجِبُ لِقاءُ أُولَئِكَ الإِنْكليزِ، وهزْمُهُمْ قَبْلَ أَنْ تُنْهِيَ جانُ الواجِبَ الذي أَمَرَتْها بِهِ الأَصْواتُ، وقَبْلَ أَنْ تُتَوِّجَ شارلَ في رِيمْس .

والجُنودُ الفَرَنْسِيُّونَ ، الَّذينَ كانُوا يَخافُونَ مِنَ الإِنْكليزِ مِنْ قَبْلُ ، أَصْبَحُوا الآنَ يَرْغَبُونَ في لِقائِهِمْ ومُحارَبَتِهِمْ . وإيمانُهُمْ بأَنَّ النَّصْرَ مُحَقَّقٌ ، عِنْدَما تَقُودُهُمْ جانُ ، زَوَّدَهُمْ بِشَجاعَةٍ جَديدةٍ .

كانَتْ أَصْواتُ جانَ قَدْ قالَتْ لَهَا إِنَّها لَيْسَ لَدَيْها سِوى عامٍ واحِدٍ لإِنْقاذِ فَرَنْسا، ولَيْسَ لَدَيْها وَقْتٌ لإِضاعَتِهِ . ثُمَّ انْطَلَقَتْ مِنْ أُورليانَ إِلى القُرَى والبِلادِ القَريبةِ مِنْ أُورليانَ، والَّتي كانَ الإِنْكليزُ قَدِ احْتَلُّوها .

وكانَتْ أَوَّلَ هذِهِ البُلْدانِ جارْكو ، الَّتي لا تَبْعُدُ سِوَى عَشَرَةِ أَمْيالٍ . وكانَتْ حامِيَتُها بِقِيادَةِ نَبيلٍ إِنْكليزيٍّ ، هُوَ إيرل (الشَّريف) سوفولك ، ولكِنَّ جُنودَهُ لَمْ يَسْتَفيقُوا بَعْدُ مِنْ هَزيمَتِهِمْ في أُورليانَ . وعِنْدَما رَأَوْا جانَ عَلى جَوادِها الأَبْيَضِ ، عَلى رَأْسِ الهُجُومِ ، كادَ الخَوْفُ يَشِلُّ قُواهُمْ . فاقْتَحَمَ الفَرَنْسِيُّونَ المَدينَةَ، وجانُ في قَلْبِ المَعْرَكَةِ، فاسْتَوْلَوْا عَلى المَدينَةِ، وأُسِرَ شَريفُ سوفولكَ .



لَمْ تَسْمَحْ جانُ لِلْجُنودِ بالرّاحَةِ . ورُبَّما ظَنَّتْ أنَّ أحْسَن عَمَلٍ تَقُومُ بِهِ ، هُوَ أنْ تَضْرِبَ الإنْكِليز قَبْلَ أنْ يَجِدُوا الوَقْتَ الكافيَ لِاَسْتِعادَةِ قُواهُمْ . ثُمَّ انْدَفَعَتْ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ بَلْدَةٍ صَغيرَةٍ أُخْرى ، هِيَ بَلْدَةُ بُوجَنْسي ، الَّتي تَبْعُدُ خَمْسَةً وعِشْرينَ مِيلًا ، فاسْتَوْلَتْ عَلَيْها ، قَبْلَ أنْ تَنْطَلِقَ نَحْوَ أكْثَرِ انْتِصاراتِها شُهْرَةً في بتاي ، الواقِعَةِ عَلى بُعْدِ عِشْرينَ مِيلًا شَمالًا

إذا نَظَرْتَ إلى هذِهِ الأماكِنِ على الخريطَةِ ، تَرى أنَّها تُشَكِّلُ مُثَلَّثًا ، في وَسَطِهِ أُورليانُ . وكانَتْ جانُ مُضْطَرَّةً إلى الاَسْتيلاءِ عَلَيْها ، قَبْلَ أنْ تَنْطَلِقَ مِنَ المُثَلَّثِ .

كن الرُّعْبُ الوَهْمِيُّ الآنَ قَدْ حَطَّمَ مَعْنَوِيّاتِ الإنْكِليزِ تَحْطيمًا تامًّا . وعِنْدَما ظَهَرَتْ جانُ وجُنودُها فَجْأَةً ، وَسَطَ ضَبابِ صَباحِ يَوْمٍ مِنْ أيّامِ حَزيرانَ ، كانُوا قَدْ رَبِحُوا نِصْفَ المَعْرَكَةِ .

في مَعْرَكَةِ آجيكور ، الَّتي وَقَعَتْ قَبْلَ أرْبَعَةَ عَشَرَ عامًا ، كانَ رُماةُ النِّبالِ الإنْكِليزُ ، قَدْ حَمَوْا أنْفُسَهُمْ بِدَقِّ أوْتادٍ في الأرْضِ ، في صَفٍّ واحِدٍ أمامَهُمْ وكانُوا يَرْمُونَ الفُرْسانَ الفَرَنْسِيّينَ بِسِهامِهِمُ المُميتَةِ مِنْ وراءِ تِلْكَ الأوْتادِ . فهاجَمَتْهُمْ جانُ في بتاي قَبْلَ أنْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ تَثْبيتِ أوْتادِهِمْ وعِنْدَما هَجَمَتْ عَلَيْهِمْ ، ذَبَحَ الفَرَنْسِيُّونَ أكْثَرَ مِنْ ثُلُثِهِمْ أمّا الباقُونَ فَهَرَبُوا أوِ اَسْتَسْلَمُوا ، وأُسِرَ قائِدُهُمُ اللُّورْدُ تالبوتُ ، مَعَ كَثيرٍ مِنَ الفُرْسانِ الإنْكِليز

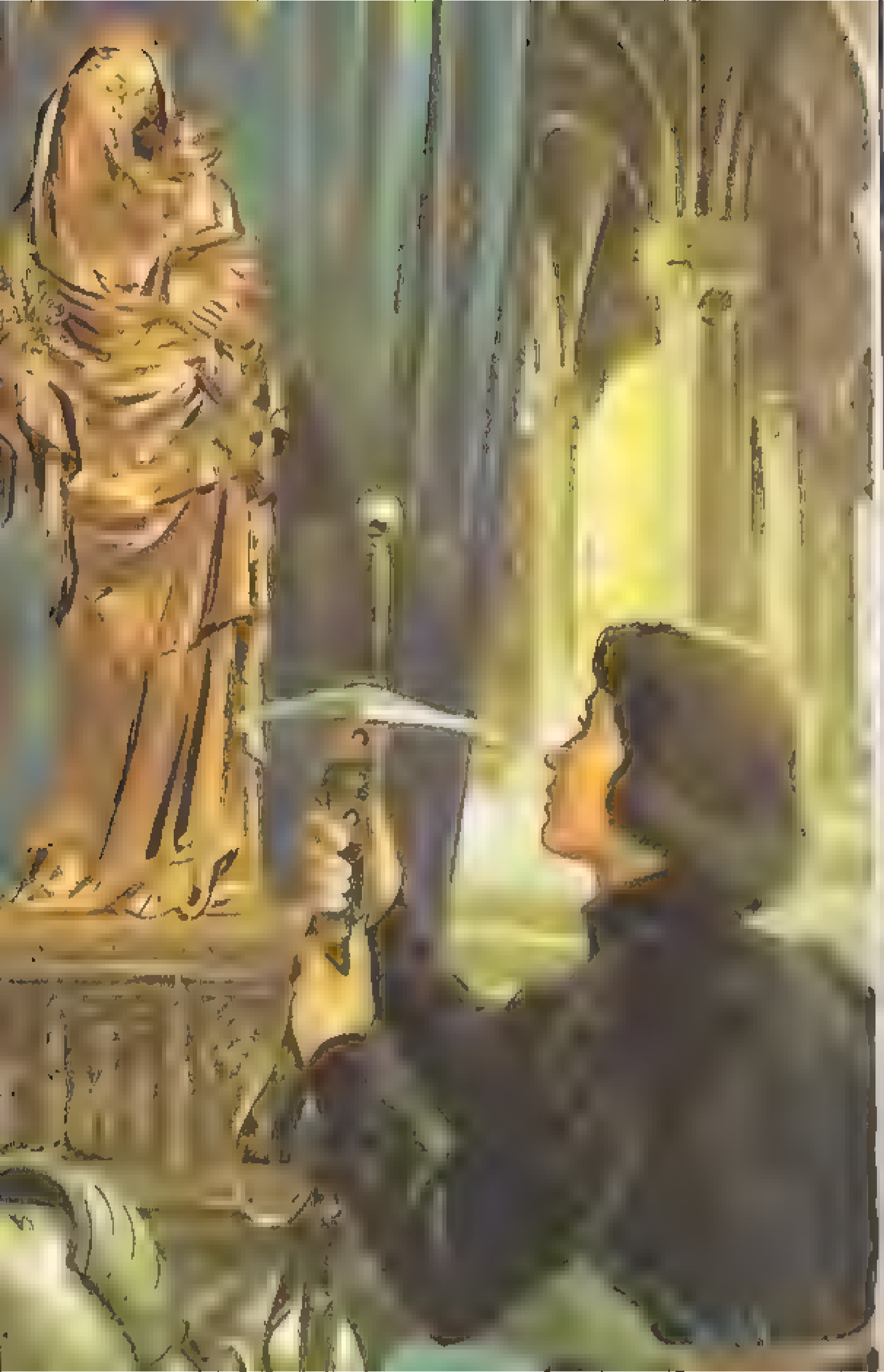


كانَ الزَّحْفُ إلى ريمس طَويلًا . وكانَتْ عَزائِمُ الإنْكليزِ قَدْ ضَعُفَتْ ، وخافُوا مِنَ السِّحْرِ خَوْفًا شَديدًا ، جَعَلَهُمْ يَتَقَهْقَرُونَ إلى باريس ، دُونَ أنْ يُعَرْقِلُوا تَقَدُّمَ الفَرَنْسِيِّينَ . وسارَتْ جانُ بِجُنودِها الفَرَنْسِيِّينَ المُظَفَّرِينَ ، بِطَريقِ تْرُوَيْزَ ، مَسافَةً تَزيدُ عَلَى مِئَتَيْ ميلٍ .

تُوِّجَ شارلُ في كاتِدْرائِيَّةِ ريمسَ الكَبيرَةِ بِصُورَةٍ فَخْمَةٍ فَكَهَنَةُ الكَنيسَةِ الكِبارُ في ثِيابِهِمُ الكَهَنُوتِيَّةِ ، والنُّبلاءُ في حُلَلٍ بَديعَةٍ ، والسَّيِّداتُ في أثْوابٍ رائِعَةٍ ، كُلُّ هذِهِ كَوَّنَتْ صُورَةً مُشْرِقَةً ، يَنْعَكِسُ عَلَيْها النُّورُ المُتَسَرِّبُ مِنْ خِلالِ زُجاجِ النَّوافِذِ المُلَوَّنِ ولكِنَّ الشَّخْصِيَّةَ الَّتي جَذَبَتْ إلَيْها الأنْظارَ كُلَّها ، كانَتِ الصَّبِيَّةَ جان

وَقَفَتْ إلى جانِبِ المَلِكِ ، بَيْنَما كانَ يُتَوَّجُ بِجَلالٍ ومَهابَةٍ ، وَهِيَ تَرْتَدي دِرْعَها المُشْرِقَ ، وتَحْمِلُ الرّايَةَ الَّتي قادَتْ فَرَنْسا إلى النَّصْرِ كانَتْ لَحْظَةً رائِعَةً لِفَلّاحَةِ دُومْرِمي ، تِلْكَ البِنْتِ الَّتي كانَتْ لَمْ تَتَجاوَزِ السّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِها بَعْدُ .

شَعَرَتْ جانُ أنَّها ، بِتَتْويجِ المَلِكِ ، قَدْ أنْجَزَتِ الرِّسالَةَ ، الَّتي أمَرَتْها أصْواتُها بالقِيامِ بِها . وأرادَتِ العَوْدَةَ إلى حَياتِها البَسيطَةِ في اللّورين وقالَتْ لِنَفْسِها : « لَقَدْ تَمَّتْ مَشيئَةُ اللهِ ، لَيْتَني أتَمَكَّنُ مِنَ الذَّهابِ لِرِعايَةِ الغَنَمِ مَرَّةً ثانِيَةً مَعَ إخْوَتي وأخَواتي . » ولكِنَّ هذا لَمْ يَكُنْ مُقَدَّرًا عَلَيْها حُدُوثُهُ .



وَمَعَ أَنَّ قادَةَ الجَيْشِ الفَرَنْسِيِّ ، كانُوا كُلُّهُمْ يَغارُونَ مِنْ جان ، فإنَّهُمْ كانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّها كانَتِ السَّبَبَ في الانْتِصاراتِ الَّتي أَحْرَزُوها وقَدْ تَبِعَها الجُنودُ الفَرَنْسِيُّونَ بِصُورَةٍ لَمْ يَتْبَعُوا بِها أَيَّ شَخْصٍ آخَرَ .

وقَبْلَ ظُهُورِ جان ، كانَتْ حَفْنَةٌ مِنَ الإنْكليزِ المُسَلَّحِينَ تَجْعَلُ مِئاتٍ مِنَ الجُنودِ الفَرَنْسِيِّينَ يَفِرُّونَ مِنْ ساحةِ المَعْرَكَةِ . والآنَ عُكِسَتِ الآيَةُ . كانَتْ جانُ غايَةً في الشَّجاعَةِ . واقْتِداءُ جُنودِها بِها جَعَلَهُمْ يُحارِبُونَ بِصُورَةٍ لَمْ يُحارِبُوا أَبَدًا بِمِثْلِها مِنْ قَبْلُ وقِصَصُ قُواها الخارِقَةِ لِلطَّبيعةِ بَثَّتْ رُوحَ الأَمَلِ في الفَرَنْسِيِّينَ ، ومَلأَتْ قُلُوبَ الإنْكليزِ ، المُؤْمِنينَ بالخُرافاتِ ، رُعْبًا .

أَهْدَتْ سَيْفَها ودِرْعَها إلى مَرْيَمَ العَذْراءِ في كَنيسَةِ القِدّيسِ دينيس في رينمس وكانَتْ أَصْواتُها قَدْ تَوَقَّفَتْ عَنِ التَّحَدُّثِ إلَيْها بانْتِصاراتٍ سَتُرْبِحُها وطَلَبَتِ العَوْدَةَ مِرارًا وتَكْرارًا إلى دُومْرِمي . ولكِنَّ طَلَبَها كانَ يُرْفَضُ دائِمًا .

كانَتْ جانُ تَعِيسَةً جِدًّا ، مَعَ أَنَّها كانَتْ بَطَلَةَ فَرَنْسا ، ومَعَ أَنَّ جَميعَ أَوْساطِ الشَّعْبِ أَحَبَّتْها . ولَمْ تَذْهَبْ إلى مَكانٍ حَتَّى يَرْكَعَ النّاسُ ، ويَطْلُبُوا بَرَكَتَها ، وكانَ الجُنودُ القُساةُ يُحَيُّونَها ، والدُّمُوعُ تَتَرَقْرَقُ في عُيونِهِمْ . ولَمْ تَجِدِ الحَسَدَ والازْدِراءَ إلَّا في بَلاطِ شارْلَ السّابِعِ ، المَدِينِ لَها بِتاجِهِ .



كانَتْ باريسُ لا تَزالُ في قَبْضَةِ الإنْكليزِ . وقَدْ عَرَفَ القادَةُ الفَرَنْسيُّونَ أنَّ حَظَّهُمْ في اسْتِرْدادِ باريسَ كانَ ضَئيلًا، إذا لَمْ تَقُدْ جانُ الجُنودَ، وتَنْفُخْ فيهِمْ روحَ الحَماسَةِ . فأَقْنَعوها بِقِيادَةِ المَعْرَكَةِ ثانِيَةً ضِدَّ رَغْبَتِها

لَبِسَتْ دِرْعَها بِقَلْبٍ مُحَطَّمٍ، وتَذَكَّرَتِ الإنْذارَ الذي وُجِّهَ إلَيْها بِأَنَّها لَيْسَ لَدَيْها سِوى عامٍ واحِدٍ لإنْجازِ واجِبِها، وكانَ العامُ قَدِ انْتَهى .

أَخْفَقَ الهُجومُ عَلَى باريسَ . وسَمَحَ القادَةُ الفَرَنْسيُّونَ بِغَيْرَتِهِمْ مِنْ جانَ، بالتَّغَلُّبِ عَلَى وَطَنِيَّتِهِمْ . ومَعَ أنَّ الجُنودَ الفَرَنْسيّينَ حارَبوا بِبَسالَةٍ، فإنَّ عَدَدَهُمْ كانَ غَيْرَ كافٍ، وكانَ الإنْكليزُ قَدْ جاءَتْهُمُ الإمْداداتُ

قادَتْ جانُ الجَيْشَ بِذاتِ الشَّجاعَةِ وعَدَمِ المُبالاةِ بالخَطَرِ، اللَّذَيْنِ خاضَتْ بِهِما مَعارِكَها السّابِقَةَ . وكانَتْ كَعادَتِها – في أَشَدِّ أَماكِنِ المَعْرَكَةِ اشْتِعالًا وعِنْدَما هَجَمَ الجُنودُ الفَرَنْسيُّونَ عَلى بَوّابَةِ القِدّيسِ أونوريه، اضْطُرّوا إلى التَّقَهْقُرِ فَتَقَدَّمَتْ جانُ وَحْدَها، وسَأَلَتْهُمْ أنْ يَتْبَعوها، وبَيْنَما كانَتْ تُصْدِرُ أَمْرَها، جُرِحَتْ ثانِيَةً . وعِنْدَما احْتَدَمَتِ المَعْرَكَةُ حَوْلَها، كانَتْ جانُ في خَنْدَقٍ، رافِضَةً مُغادَرَتَهُ، قَبْلَ أنْ يَسْتَوْلِيَ الفَرَنْسيّونَ عَلى بابِ المَدينَةِ الكَبيرِ وعِنْدَما رَأَى الجُنودُ جانَ قَدْ وَقَعَتْ، خارَتْ عَزائِمُهُمْ، وتَقَهْقَروا، وهُمْ يَحْمِلونَ جانَ مَعَهُمْ، بَعْدَ أنْ مَنَعَها ضَعْفُها مِنْ مُقاوَمَتِهِمْ .



سُرَّ القادَةُ الفَرَنسيّونَ في قَرارَةِ أَنفُسِهِمْ بانْهِزامِ جانَ ، وشارلُ الَّذي كانَ ضعيفًا وجبانًا تَقَهْقَرَ إلى بورجَ

طَلَبَتْ جانُ ثانِيَةً السَّماحَ لَهَا بالعَوْدَةِ إلى دُومْرِمي ، ولكِنَّ المَلِكَ الأَنانِيَّ رَفَضَ ثانِيَةً السَّماحَ لَهَا بالسَّفَرِ . وَعِوَضًا عَنْ ذلِكَ مُنِحَتْ جانُ لَقَبَ النَّبالة . ووُعِدَتْ بِدَخْلٍ لَمْ يُدْفَعْ أَبَدًا . أَضِفْ إلى ذلكَ أَنَّ قَرْيَةَ دُومْرِمي أُعْفِيَتْ مِنْ دَفْعِ الضَّرائِبِ . سُرَّ جانُ أَنَّ ما فَعَلَتْهُ قَدْ أَفادَ قَرْيَتَها ، الَّتي وُلِدَتْ فِيها ، ولكِنَّها كانَتْ تُفَضِّلُ العَوْدَةَ إلَيْها أَكْثَرَ جِدًّا مِنْ إعفائِها مِنَ الضَّرائِبِ

كانَ دوقُ بورغندي يُحارِبُ مَعَ الإِنْكليزِ وقَدْ وافَقَ الآنَ على هُدْنَةٍ تَمْتَدُّ إلى ربيعِ العامِ المُقْبِلِ ١٤٣٠ .

كانَتْ جانُ قَدْ أَنْقَذَتْ مَدينَةَ أُورليانَ عام ١٤٢٨ . والعامُ الَّذي وَعَدَتْها بِهِ أَصْواتُها كانَ قَدِ انْتَهى مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ . وفي المَعْرَكَةِ النّاجِحَةِ الَّتي خاضَتْها في ميلون ، الواقِعَةِ عَلَى بُعْدِ بِضْعَةِ أَمْيالٍ مِنْ جَنوبِ شَرْقِ باريس . تحَدَّثَتْ إلَيْها أَصْواتُها أَيْضًا . وقالَتْ جانُ : « عِنْدما كُنْتُ عِنْدَ مَتاريسِ ميلونَ ، أَنْذَرَتْني القِدّيستانِ كاترينُ ومرغريتُ بأَنّي سأُؤْسَرُ قَبْلَ انْتِصافِ الصَّيْفِ . وصَلَّيْتُ لِلهِ أَنْ يُميتَني في السّاعَةِ ، الَّتي أُؤْخَذُ فيها ، لِكَيْ لا أُعانِيَ شَقاءَ الأَسْرِ الطَّويلِ .



تَحَقَّقَ صِدْقُ ما أَنْذَرَتْ بِهِ جان دارْكَ أَصْواتُها . حاصَرَ جنودُ دوقِ بورغندي بَلْدَةَ كومبيينَ . ومَعَ أَنَّ شارلَ كانَ لا يَزالُ حَرِدًا في بُورجَ ، فَقَدْ ذَهَبَتْ جانُ مَعَ كَتيبَةٍ مِنَ الجُنودِ الفَرَنْسيّينَ لإِنْقاذِ كومبيينَ . وقادَتِ الهُجومَ بِشَجاعَتِها المَعْهُودَةِ ، وشَقَّتْ طَريقَها إِلَى البَلَدِ . وبَدا كَأَنَّ رَفْعَ الحِصارِ عَنْ مَدينَةِ أُورليانَ ، سَيَتَكَرَّرُ في كومبيينَ .

كانَتْ جانُ في أُورليانَ تَقومُ بِهَجْمَةٍ مُفاجِئَةٍ بَعْدَ أُخْرَى، وتَسْتَوْلي عَلَى الأَماكِنِ الحَصينَةِ المُحيطَةِ بالمَدينَةِ . كانَتْ هَجَماتُها ناجِحَةً في أُورليانَ ، فكَرَّرَتْها في كومبيينَ . قامَتْ بِهَجَماتٍ كَثيرَةٍ، وكانَ البورغنديُّونَ يَرْتَدُّونَ إِلَى الوَراءِ ، ثُمَّ قاموا فَجْأَةً بِهُجومٍ مُضادٍّ . وبَيْنَما كانَ الفَرَنْسيّونَ يَنْسَحِبُونَ ، كانَتْ جانُ في مَوْقِعٍ خَطِرٍ ، وَهِيَ في مُؤَخَّرَةِ الجَيْشِ المُنْسَحِبِ . وعِنْدَما كانَتْ جانُ وَحْدَها تَقْريبًا ، وكانَ هَمُّ الجُنودِ الفَرَنْسيّينَ الوحيدُ هُوَ الرُّجُوعَ إِلَى البَلْدَةِ ، طُوِّقَتْ جانُ ، وأُنْزِلَتْ عَنْ جَوادِها قَسْرًا .

أَصْبَحَتْ جانُ الآنَ أَسيرَةً بَيْنَ يَدَيْ دُوق بورغندي . فَباعَها هذا النَّبيلُ الفَرَنْسِيُّ الحَقيرُ لِلإِنْكِليزِ بِعَشَرَةِ آلافِ ليرةٍ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كانَ يُسَلِّمُها إِلَى الإِعْدامِ بِشَكْلٍ مِنَ الأَشْكالِ .



أمّا مَلِكُ فرنسا الجبانُ، الّذي لبِسَهُ العارُ الأبدِيُّ، فإنّهُ لمْ يفعلْ شيئًا لإنقاذِ البِنْتِ الفلّاحةِ، الّتي كانَتْ قدْ أنقذَتْ فرنسا، وأكسبَتْهُ تاجَهُ الملكيَّ. والشّيْءُ الوحيدُ الّذي رَغِبَ فيهِ الإنكليزُ، هُوَ أخْذُ ثأرِهِمْ مِنْها، بَعْدَ أنْ جرّتْ عليْهِمُ الذُّلَّ. وكانُوا مُسْتعِدّينَ جدًّا ليتآمَرُوا معَ أُسقُفِ بُوڤيه الخبيثِ الخدّاعِ، ليشْترِيها مِنَ البورغنديّين.

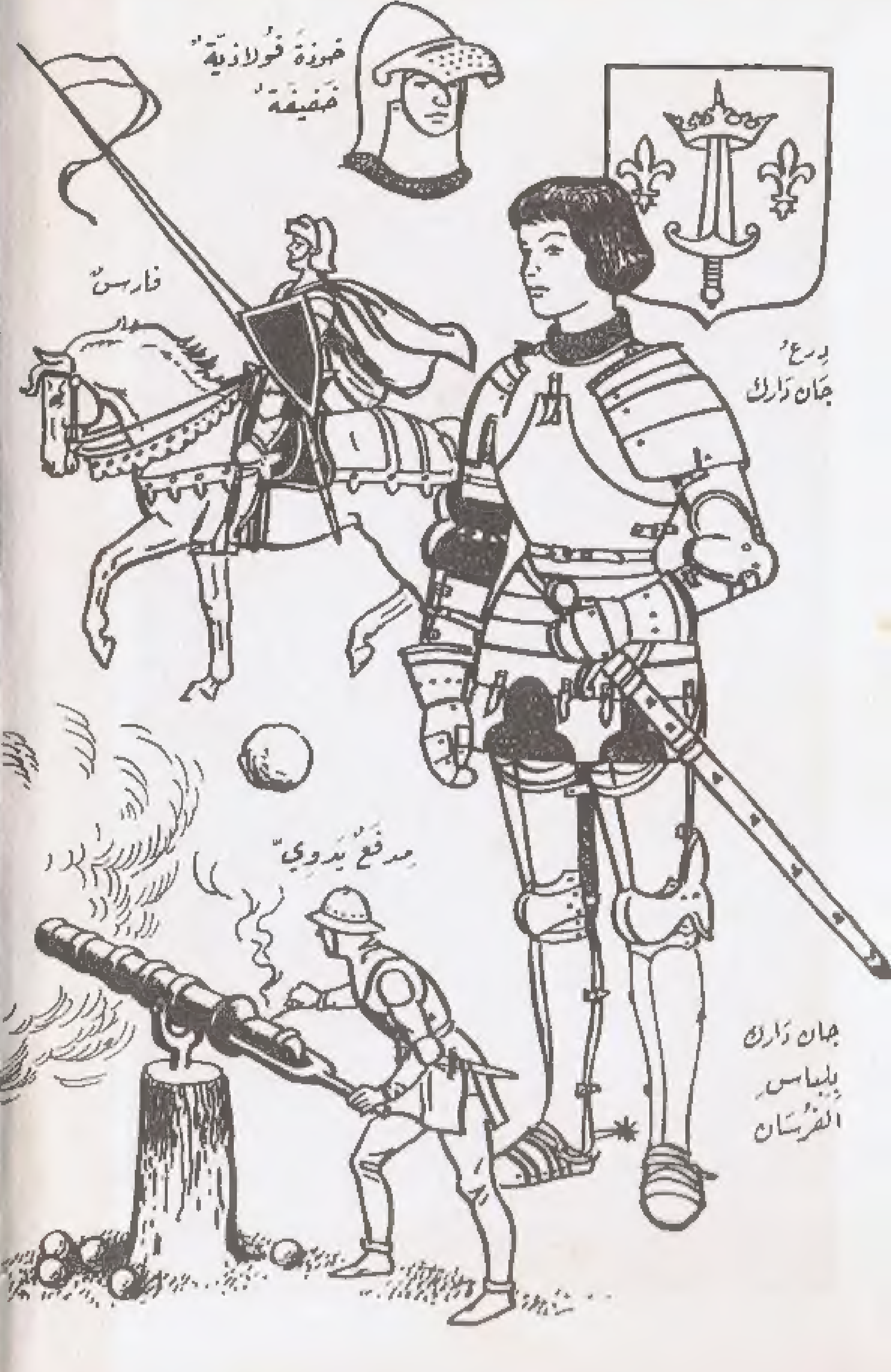
كانَتْ جانُ تَعْلَمُ ما هُوَ مَصيرُها، إذا وَقَعَتْ في أيْدِي الإنكليزِ. فحاولَتِ اجتنابَ الوُقُوعِ في أيْدِيهِمْ، بأنْ ألقَتْ بنفسِها مِنْ شُبّاكٍ يرتفعُ سِتّينَ قدمًا عَنْ سطحِ الأرضِ، فأُصيبَتْ بضررٍ جسيمٍ. لكنَّ ذلكَ لَمْ يَمْنَعْ تسليمَها إلى ألدِّ أعدائِها. وقُيِّدَتْ بالسّلاسِلِ. ووُضِعَتْ أسابيعَ كثيرةً في قبْوٍ رطْبٍ ومُظلِمٍ.

وبَعْدَ مُحاكمةٍ طويلةٍ وفظيعةٍ وغيرِ عادلةٍ، برئاسةِ الأُسقُفِ النّذْلِ، الّذي قَبِلَ الرّشْوةَ ليبيعَها للإنكليزِ، اتُّهِمَتْ جانُ بتعاطي السِّحْرِ، وأُحرِقَتْ في سُوقِ بلدةِ رُوان. والكنيسةُ الّتي قتلتْها لإخلاصِها لدينِها ووطنِها عامَ ١٤٣٠، رحّبتْ بجعْلِها قدّيسةً عامَ ١٩١٩.

والتّمْثالُ الشّهيرُ، الّذي تَرى صُورتَهُ على الصّفْحةِ المُقابلةِ، صنعَهُ عمانوئيل فريميه، ويُظهِرُ جانَ، وهِيَ تلْبَسُ دِرْعَها، وتُصلّي للهِ ليَقُودَ خُطاها نَحْوَ النّصْرِ، قبْلَ إحْدى المعاركِ.



راميان بالقوس والنشاب
خوذة صلاح الدين
رام بالقوس الطويل والنشاب
راجم، رامي المنجنيق
رماح



خوذة فولاذية خفيفة
فارس
درع جان دارك
مدفع يدوي
جان دارك بلباس الفرسان

السلسلة التاريخيّة

(١) فلورنس نيتنغيل
(٢) كريستوفر كولمبس
(٣) ماركو بولو
(٤) الكابتن سكوت
(٥) الإسكندر الأكبر
(٦) تشارلز ديكنز
(٧) كليوباترا ومصر القديمة
(٨) نابوليون
(٩) جان دارك
(١٠) الحضارات الكبرى : مصر
(١١) الحضارات الكبرى : اليونان

Series 561 / Arabic